

أرى واجبي المقدس في الدفاع عن وطني وهذا مكنون وجودي العميد الركن عدنه خير بك تفتح قلبها لـ «الوطن»: للمرأة السورية في التاريخ صور مشرفة وما زالت تسطر الملاحم

حوار محمود الصالح

انخرطت في صفوف القوات المسلحة منذ نعومة أظفارها، مقتدية بالرجال من أبناء سورية، يدينها في ذلك أن الميدان العسكري ليس حكرًا على الرجال، نالت وسام القدوة المثلى في التدريب أكثر من مرة، وتفوقت على أترابها من الشباب والشابات في الكلية الحربية، حققت مراكز متقدمة في التدريب ونجاحات كبيرة في كل المنافسات الرياضية أو الثقافية وحصلت على المراكز الأولى في دوراتها العسكرية المختلفة، هي بطلة الرماية وفارسة، في بيتها تشهد لها شهادات ولديها الطبيب والمهندس بأنها كانت أما ناجحة رغم سوء الحالة المادية وصعوبات الحياة، عرفتها منابر الثقافة فارسة للكلمة.

إنها العميد الركن والشاعرة عدنه خير بك التي فتحت قلبها لـ «الوطن» وكان هذا الحوار.

• عدنه خير بك مقاتل في الجيش العربي السوري وأبية وشاعرة وأم وناشطة اجتماعية أي من هذه الشخصيات تتمظهر فيك أكثر؟
صراحة لا أستطيع الفصل فهذه كلها عدنه لكن عندما وقعت هذه الحرب الكونية على وطني رأيت نفسي مقاتلاً مدافعاً عن وطني هو واجبي الأقدس.. لكن لم أهمل دور الكلمة وأثرها ويسعدني جداً أن أكون إلى جانب وبين أهلي في الفعاليات والأنشطة والأعمال التي تزيل عن كاهلنا أثر الدمار وتحمي أفرح بأبني قدمت لبلدي شابن يساهم في حماية وبناء الوطن دكتور مهندس وطبيب في مشافي القوات المسلحة وأنا أم للجنود الأبطال يعني أنا مقاتل وشاعرة وأم... أنا ناكل سورية لأنني أشعر أن وطني يسكنني وكل مواطن سوري هو من أهلي، فانتماي واعتزازي بانتماي هو غالب وواضح ومفروء في شخصية عدنه وكل من يتعامل معي يراه في اللحظة الأولى.

• استطاعت المرأة السورية أن تشكل حالة متميزة في القوات المسلحة، ما الذي ساعدها على تحقيق ذلك؟
تشكيل أي حالة متميزة لا بد من عوامل موضوعية وعوامل ذاتية. الموضوعية هي الأنظمة والقانون السوري وقانون

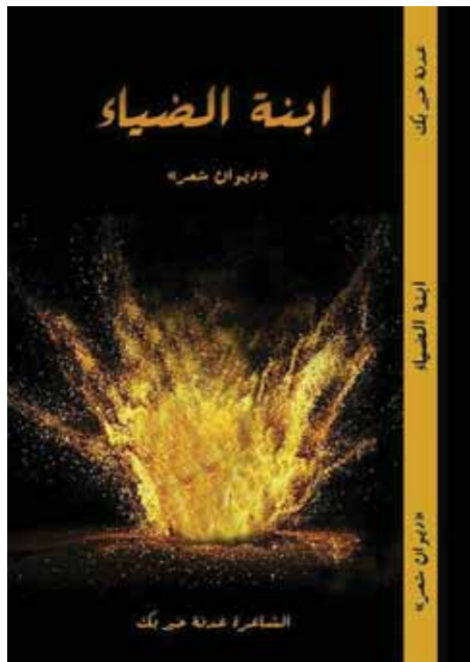


الخدمة وقيادتنا العسكرية المتمثلة بالقائد العام للجيش والقوات المسلحة السيد الرئيس الفريق بشار الأسد الذي لم يميز بين أنثى وذكر في الخدمة وأعطانا حقوقاً كافة أيضاً مهماتنا. أما العوامل الذاتية فهي الإرادة والتصميم على بناء أنفسنا وحسب القول المأثور: من جد وجد هنا أؤكد إصرار المقاتلة على بناء ذاتها تدريباً وعلماً عسكرياً أي إتقان السلاح والعتاد الذي بين يديها، إضافة إلى إتقانها لفنون القيادة والتحلي باسمي الأخلاق.

• عدنه خير بك شاعرة مرفهة الإحساس وأم ناجحة بامتياز كيف توازن مع عملها العسكري؟
أوامم شعري وأمومتي وعملي بأبني أفضل بينما قدر الإمكان أن تكون المرأة أما وشاعرة هذا شيء جميل لترجم بتربية مثالية وخلق رفيع وأن أمتلك الكلمة تنعكس على عملي وأنا أوأم بالتربية الأخلاقية والجمالية والوطنية وهنا تمتلك مهارة في التواصل مع مرؤوسيك ورؤسائك ومن ثم تنجز مهامك بإبداع وحرفية أكثر وتحتاج هنا إلى مهارة في إدارة الذات وإدارة الوقت وإدارة المورد البشري (المرووس) وأن تؤمن بمن هم منضوبون تحت إمرتك أي أن تبني جسور ثقة معهم أساسها الانتماء للوطن والثقة بالشعب والقائد.

• ما الميزات بين المقاتل الرجل والمرأة المقاتلة؟

علينا مهمات صعبة أولها إعادة بناء الإنسان من الخلية الأولى في المجتمع وهي الأم



• ما الوسائل التي تعتقدين أننا يجب أن نتبعها لتجاوز مفزعات هذه الحرب القذرة؟
بعد انتصارنا العسكري علينا جميعاً مهمات صعبة أولها إعادة بناء الإنسان من الخلية الأولى في المجتمع (الأم) الأسرة أولاً وهنا يجب انتقاء نساء مؤهلات يبين جيلها من نساء مؤمنات بالوطن وبعاد كبيره ثم الاهتمام بالإعلام الوطني كي يكون خلافاً وبعيداً بفاعليته التي توجه إلى إعلام الآخر وتعزيز دور الشبيبة والمنظمات الشعبية لا أن تكون شكلية والتأكيد دوماً في برامجنا على الولاء والولاء للوطن وإنهاء مادة التربية الدينية من المدارس وإستناد هذه المهمة إلى وزارة الأوقاف واستبدالها بتربية وطنية وأخلاقية للأبم بإعداد كوادر تكون مربية وليست فقط تعطي المادة التعليمية بل يجب أن يكون دورها بتنشئة الأجيال على الوطنية والفاعلية... تأكيد الدور الخلاق للإعلام وتشجيع المواطنين على القراءة وبخاصة الأمهات والمعلمات اللواتي ينشئن الجيل الجديد المؤمن بوطنه.

• العمل العسكري إلى أي مدى يتناسب مع وضع المرأة والبيت والأسرة؟
أي عمل يتناسب أولاً يتناسب مع وضع المرأة في البيت كربة منزل وأم بمقدار استطاعة المرأة إدارة ذاتها وقناعتها بنفسها وعملها. أي علاقة تتناسب طردياً مع مستوى معرفة المرأة. مع التأكيد خصوصية العمل العسكري وصعوبته وصعوبة هذه المرحلة من الحرب

لكن أرى عندما تتوافر الإرادة والتصميم هي تحقيق النجاح وبمقدار محبة العمل الذي تقوم به يكون النجاح نتيجة حتمية وهذا نسميه الذكاء العاطفي (الوجداني).

• هل يمكن أن يتغير نوع الأدب أو الشعر وطبيعة موضوعاته باختلاف مهنة وعمل الشاعر؟
لا يبدأ تتغير المهنة لكن لا يتغير الإنسان الشاعر، فيبقى يرى الجمال ويشعر بالحب ويشعر بالمعاناة وينظر إلى كل المفاهيم بعين الشاعر نفسه فانا أكتب عن الحب وحب الوطن والحرب والطبيعة والظلم والوجع وكل الحياة. أكتب عن الجيش الذي أعزت بانتماي له عن مهمتها المقدسة الدفاع عن الوطن.. عن الشهيد عن الجريح عن الأم والزهرة فعين الشاعر ترى برهافة أكثر وتكتب عن كل شيء.

• ما الرسالة التي تقدمها الشاعرة عدنه خير بك للجيل الجديد من النساء اللواتي يرغبن في السير على خطاك.
الرسالة التي أقدمها لمن تريد أن تتل شرف الانتساب إلى هذه المؤسسة الوطنية أن يكن قدوة في كل شيء في الشكل والمضمون أن يصادقن الكتاب ويرتدن المسرح والنادي في خارج أوقات العمل. أي يبينن أنفسهن وعقولهن والأهم طبعاً إتيان العمل العسكري كونه الأساس في حياتها العملية.

• ما الميزات بين المقاتل الرجل والمرأة المقاتلة؟

إن كنت تقصد الفرق فالمرأة عندما تكون في ساحات القتال تضيف قيمة للرجل للدفاع عنها وحماتها هذه في تربيتنا كشقيقتين غيورين تربط الأرض للعرض دوماً والشرف وهنا كثير من القصص الطويلة في أرض المعركة أما إن كنا نقصد المرأة ودورها.. فالأهمي الأرض والوطن ومن ثم تدافع ببنات واستماتة عن وطنها أيضاً سمرت النساء ملاحم سحكي عنها الكون ومن خلال قراءاتي لم أعرف في تاريخ حروبنا مع الاحتلال العثماني والفرنسي وصولاً إلى العدو الصهيوني لم أقرأ عن نساء خانوا الوطن بعمالة أو جاسوسية ومن خلال قراءاتي للتاريخ العسكري أيضاً تأكدت من ذلك ومن ثم زاد اعتزازي بأبني امرأة سورية.

• أنت محملة بعبء اجتماعي كبير ففراك في كل تعزية للمقاتلين وتدافعين عن حقوق الجرحى والعناصر. ألا يستنزف ذلك من وقت وحياتك الشخصية؟
هنا محبتي لتراب وطني ولقائدي واعتزازي بانتماي هي من تجيب: كل ذرة تراب عندي من وطني هي مقدسة عندي وكل سوري هو أخي وأبني وأبي وكل أسرة سورية لها في قلبي محبة أهلي فمن ضحى بنفسه وارتنقى شهيداً أو صار جريحاً بيننا أحسن أن جل ما تقدمه لا يساوي قطرة من دمه هو يستنزفني لكن يرضيني أنني كنت بينهم ومساعدتهم ولألمات أشعر

نصف عقد على رحيل شاعر الطفولة

سليمان العيسى.. نذر شعره لوجدان الإنسان وخاطب بقيثارة شعره براءة الأطفال

وائل العدس

قبل خمسة أعوام، شكّل رحيل الشاعر السوري الكبير سليمان العيسى خسارة كبيرة للشاهد الشعري بعدما قدم على امتداد ثمانية عقود ونيف عشرات العناوين للمكتبة العربية، هكذا فارق الحياة في عمر ٩٢ في دمشق.

آثر صديق طفولتنا الرحيل ونحن بأمس الحاجة لقصيدة دعائه لسورية «يا إلهي يا إلهي يا محبب الدعوات احمني واحم بلادي من شرور الحادثات».

كبر معنا، وكبرنا به وعلى أناسيده.. وملأت مفردات لغته العربية أسماءنا وصافحت أعيننا، بعدما نذر شعره لوجدان الإنسان وخاطب بقيثارة شعره براءة الأطفال.

الإحاطة بالموضوعات القومية والوطنية والإنسانية والوجدانية التي كتبها خلال ثمانية عقود ونيف من تجربته الكتابية تجعله إلى جانب الجواهري أكثر شعراء العربية الذين كتبوا على امتداد أطول شريط زمني، وهي سمة من الممكن دراستها، على صعد كثيرة، ولعل الكتابة عن قضية فلسطين قد أخذت جزءاً مهماً من اهتمامه، وعنايته، إلى جانب قضية مسقط رأسه الذي سرق من أهلها، والكتابة عن الشهداء والبؤساء وغير ذلك من أمات الموضوعات المهمة، لتصلح تجربته الحياتية والإبداعية، كي تؤهله ليكون شاهد عصر كامل، حافل بالأحداث الكبرى.

مسيرة حياته

ولد الشاعر سليمان العيسى عام ١٩٢١، في قرية النعمرية - حارة بساتين العاصي - الواقعة غربي مدينة أنطاكية في لواء إسكندرون. تلقى ثقافته الأولى على يد أبيه المرحوم الشيخ

أحمد العيسى في القرية، وتحت شجرة التوت التي تظلل باحة الدار. حفظ القرآن الكريم، والمعلقات، وديوان المتنبي، وآلاف الأبيات من الشعر العربي، ولم يكن في القرية مدرسة غير الكتاب الذي كان في الواقع بيت الشاعر الصغير، والذي كان والده الشيخ أحمد يسكنه، ويعلم فيه.

بدأ كتابة الشعر في التاسعة أو العاشرة، حيث كتب أول ديوان من شعره في القرية، تحدث فيه عن هوم الفلاحين وبؤسهم.

دخل المدرسة الابتدائية في مدينة أنطاكية، ووضع المدير في الصف الرابع مباشرة، وكانت ثورة اللواء العربية قد اشتعلت عندما أصعب عرب اللواء بمؤامرة فصله عن الوطن الأم سورية.

شارك بقصائده القومية في التظاهرات والنضال القومي الذي خاضه أبناء اللواء ضد الانتعصاب وهو في الصف الخامس، والسادس الابتدائي.

غادر لواء الإسكندرون بعد سلخه ليتابع مع رفاقه الكفاح ضد الانتداب الفرنسي، وواصل دراسته الثانوية في ثانويات حماة واللاذقية ودمشق، وفي هذه الفترة ذاق مرارة التشرد وعرف قيمة الكفاح في سبيل الأمة العربية ووحدتها وحريتها.

شارك في النشاط السياسي منذ البدايات وهو طالب في ثانوية جودة الهاشمي بدمشق في أوائل الأربعينيات، وأتم تحصيله العالي في دار المعلمين العالي ببغداد، بمساعدة من العراق. عاد من بغداد وعين مدرساً للغة والأدب العربي في ثانويات حلب، وبقي فيها من سنة ١٩٤٧ وحتى ١٩٦٧ يدرس ويتابع الكتابة والنضال القومي، ثم انتقل إلى دمشق موجهاً أول اللغة العربية في وزارة التربية.

كان من مؤسسي «اتحاد الكتاب العرب» في سورية عام ١٩٦٩، - يحسن الفرنسية والإنكليزية إلى جانب لغته العربية، ولم بالتركية، وزار معظم أقطار الوطن العربي وعدداً من البلدان الأجنبية.

- اتجه إلى كتابة شعر الأطفال بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧، وشارك مع زوجته الدكتورة ملكة أبيض في ترجمة عدد من الآثار الأدبية، كما شارك في ترجمة قصص ومسرحيات من روائع الأدب العالمي للأطفال.

في عام ١٩٩٠ انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق، وفي عام ١٩٩٧ منح الدكتوراه الفخرية من جامعة صنعاء، وفي عام ٢٠٠٠ حصل على جائزة الإبداع الشعري، مؤسسة الباطين.



غادر لواء الإسكندرون بعد سلخه ليتابع مع رفاقه الكفاح ضد الانتداب الفرنسي، وواصل دراسته الثانوية في ثانويات حماة واللاذقية ودمشق

شعر الطفولة

من خلال متابعة العوالم التي كتب فيها، نجد أنه اتجه إلى عالم الطفولة، حيث كتب فيها على نحو بارز، ولعل ذلك أسباباً كثيرة، ومنها في ما يتعلق بطفولته أو من خلال فهمه إلى أن بناء المجتمع يبدأ من عالم الطفولة، ما جعله يغني للطفل، بيته رؤيته فيما يتعلق بالوطن، والقومية، والأخلاق، وغير ذلك من الركائز والعلامات الرئيسة التي تسم إبداعه الطفلي، ولعل دارس شعره هذا يجد بساطة المفردة، ورشاقها وعذوبتها، ناهيك عن قصر الجملة، وجملة الصورة، حيث من السهولة أن تعلق القصيدة بذهن الطفل، كي يرددها بعفوية.

وإذا عرفنا أن قصائد الشاعر كانت تدرس في المناهج المدرسية - حيث كان موجهاً أول اللغة العربية في حلب ومن ثم دمشق - فإن الأجيال السورية، منذ خمسينيات وستينيات القرن الماضي، وحتى هذه اللحظة تستظهر قصائده، وتشكل جزءاً من الذاكرة السورية، ناهيك عن

وكما غنى للعرب الصغار بقيثارة الطهر

والبراءة والأمل، عزف للكبار سيمفونية البطولة والكفاح والفداء، وذكرهم بما حققه أجدادهم من تضحيات وانتصارات، وبعاهم إلى المقاومة والانتفاضة ورفض الاستعمار والهزيمة والياس والتطبيع.

كان سليمان العيسى الذي سجنته سلطات الاحتلال الفرنسية في شبابه بسبب مواقفه المعادية للانتداب، يناضل بالكلمة من أجل تحقيق الوحدة العربية، وكتب عدداً من القصائد التي تجسد معاناة الشعب الفلسطيني ومقاومته وانتفاضته ضد الأطماع الصهيونية والعنصرية التي لم تكف عن الفتك بأرواح الأبرياء وندبيس الأراضي المقدسات العربية والإسلامية.

أهم أعماله

- المرأة في شعري ١٩٨٠.
- موجز ديوان المتنبي ١٩٨٠.
- حب وبطولة «مختارات» ١٩٨٠.
- الديوان الضاحك ١٩٨٢.
- باقة نثر ١٩٨٣.
- الأعمال الشعرية «في أربعة أجزاء» ١٩٩٥.
- على طريق العمر.. معالم سيرة ذاتية ١٩٩٦.
- النماذج ٢٠٠١.
- الحنين (شعر ونثر) ٢٠٠٤م.

ومن أهم أعماله للأطفال

- شعراؤنا يقدمون أنفسهم للأطفال ١٩٧٨.
- مسرحيات غنائية للأطفال ١٩٨٥.
- ديوان الأطفال ٢٠٠٠.
- أغاني الحكايات ٢٠٠٢.

ما ترجم له

- الفرافشة وقصائد أخرى، نقلتها إلى الإنكليزية الشاعرة برندا ووكر ١٩٨٤.
- الشجرة، ديوان شعر للأطفال، ترجم إلى الروسية وصدر في موسكو ١٩٨٤.
- رائحة الأرض، نقله إلى الفرنسية الشاعر اتاناز فاتشيف دو تراسي ١٩٨٧.
- أحكي لكم طفولتي يا صغار: نقله إلى الإنكليزية عبد الله كامل، وصلاح مقداد ١٩٩٢، ونقلته إلى الفرنسية الدكتورة ملكة أبيض، طبع في الجزائر - العاصمة - ٢٠٠١.
- قصائد مختارة: نقلتها إلى الفرنسية الدكتورة ملكة أبيض بالتعاون مع مبروك مبارك، ٢٠٠٤.

من أشعاره

ماما ماما يا أنفاساً
تَمَلَّأ قَلْبِي بِبِنْدِي الحَبِّ
أَنْتَ تَشْجِدِي عِيدَكَ عَيْدِي
بِسَمَةِ أُمِّي سِرِّي وَجُودِي
أَنَا عَصْفُورٌ مَلَأَ الدَّارَ
قَلْبِي مَامَا ضَوْءَ نَهَارِي
أَفْتَحْ عَيْنِي عِنْدَ الفَجْرِ
فَارَى مَامَا تَمَسَّحُ شَعْرِي
أُمُو مَامَا أَقْدِي مَامَا

فلسطين داري ودرّب انتصاري
تظلّ بلادي هوى في فؤادي
ولحناً ألبسا على شفتيا
وجوه غربية بارضي لسلبية
تدبّع شماري وتحتلّ داري
وأعرف دربي ويرجع شعبي
إلى بيت جدي إلى دفة مهدي

عمي منصور نجارُ
يضحك في يده المنشأش
يعملُ يعملُ وهو يغني
في فمه دوماً أشعار
قلت لعمي: عندي لعبة
اصنع لي بيتاً للعبة
هزّ الرأس وقال:
أنا أهوى الأطفال
بعد قليل رحلت إليه
شيء حلوبين يديه
سواء عمي منصور
أحلي من بيت العصفور
يُبدع في يده المنشأش

تَشْبهُ الشُّور في شَفْتِي
تَعْبِشُ تَعْبِشُ مَدْرَسَتِي
أَحِبُّ مَعْلَمِي الغَالِي
أَحْبِكُ يا مَعْلَمَتِي
أَرَى عَليَّ أَرَى وَطَنِي
أَرَى الدُّنْيَا بِمَدْرَسَتِي
يُكْرِمُ بِكْرَ العَصْفُورِ
مَنْ سَمَّهَ إلى سَمَّتِي
وَأَهْتَفَ بِأَسْمِ وَجَدْتَنَا
عَبِيرَ الحَبِّ يا لَغْتِي